مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قبائل البدو الرحل الجزائرية خلال القرن التاسع عشر

دراسة تاريخية أنثروبولوجية حول العادات والتقاليد

The Algerian Nomadic tribes During the 19 Century
Historical anthropological study About customs and traditions

دحام الحاج[1] *

[1] كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجيلالي ليابس–سيدي بلعباس–

dahamelhadj@gmail.com

ميلود تيزي[2]

[2] كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجيلالي ليابس–سيدي بلعباس–

miloudtizi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/02/27 تاريخ القبول: 2021/04/16

ملخص:

إن موضوع البدو الرحل من بين المواضيع المهمة التي لم تتطرق لها المصادر المحلية والأجنبية بالمعالجة والدراسة الأنثروبولوجية والتاريخية المفصلة خلال الفترة الاستعمارية، وهذا ما يدفعنا لدراسته والبحث فيه، خاصة أنه كان من بين أهم القضايا والمسائل الشائكة التي اعترضت طريق المشروع الاستعماري الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، وكذا أهمية هذه الفئة في المجتمع الجزائري، ودورها الإجتماعي، والإقتصادي (الملكية الجماعية والثروة الحيوانية).

فقد عرفت قبائل البدو الرحل الجزائرية خلال ذلك القرن تحولات مست بنيتها الإجتماعية، فغيرت تماما من منطق العيش التقليدي الذي كان سائدا من قبل، إذ عمل المحتل منذ الوهلة الأولى على ضرب وزعزعة أهم نظمها الإجتماعية، وهذا بتجزئة وحدة القبيلة وتفكيكها، معتمدا على المساس بتقاليدها ومكسرا لعاداتها من خلال تشريعاته المختلفة، محاولا الحد من حركيتها ممهدا للإستحواذ عليها، وفي هذا السياق استهدفنا بالدراسة علاقة بعض قبائل البدو الجزائرية بالأرض، والثروة الحيوانية، ومدى تمسكها

* **المؤلف المرسل**: دحام الحاج، **الايميل**: dahamelhadj@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بموروثها الإجتماعي، والثقافي المتوارث لديها، محاولين الوقوف بالتحليل والنقد على بعض خصائص هذه الفئة من حيث العادات والتقاليد بالريف الجزائري خصوصا الغربي والجنوب الغربي.

الكلمات الدالة: البدو الرحل، العادات، الطقوس، الخيمة، الأنثربولوجية.

Abstract:

The nomadic issue is among the important topics that local and foreign anthropological and historical sources did not study, and this is what prompts us to research it, especially as it was among the most important thorny issues that stood in the way of the French colonial project, and given the importance of this group in Algerian society and its role Socio-economic (collective ownership and livestock).

The Algerian nomadic tribes have known transformations that completely changed the logic of traditional living that prevailed, as the occupier worked on striking and destabilizing the most important of its social systems, and this by fragmenting and dismantling the tribe's unity, relying on prejudice to its traditions and breaking its customs through its various legislations, we aimed to study the relationship of some Bedouin tribes. Algeria's land and livestock, and the extent of its adherence to its inherited social and cultural heritage in terms of customs and traditions, especially the western and southwest.

Keywords: Nomadic; Habits ; Postural Activi;The tent; Anthropology.

مقدمة:

تعد القبيلة تنظيما سياسيا وإجتماعيا ورابطة دموية ميزت العديد من المجتمعات البشرية، لذلك تعتبر الجزائر من ضمن المجالات الجغرافية التي تطور فيها النظام الاجتماعي خلال الفترة المعاصرة خصوصا القرن التاسع عشر (الفترة الاستعمارية)، الأمر الذي جعل من هذا فضاء رحبا للبحث عن هوية الذات، كالأنساب والهجرة والترحال والصراع، الأمر الذي يدفعنا إلى استنتاج مفاده أنه لدراسة التنظيم القبلي من حيث الجانبين السوسيولوجي والأنثروبولوجي لابد من العودة إلى التاريخ، لأنه وحده من يعيننا في فهم القبيلة ونظمها.

والدراسة التاريخية في موضوع قبائل البدو الرحل الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية كانت ولا تزال من بين الدراسات المفقودة وهذا نظرا لندرة المراجع التي تأتي على ذكر أخبار هذه القبائل، وتهدف إلى ذكر حياتهم اليومية خلال هذه الفترة ولا حتى قبلها، ناهيك عن ما لازمهم من تغيرات في بنيتهم الاجتماعية نظير ما عارضهم من تشريعات من طرف المستعمر الفرنسي، هذا الأخير وبعد احتلاله الجزائر صارت فئة البدو الرحل محور اهتمام المستعمرين، ومحل تفكيرهم، إذ أنها ساهمت بشكل كبير خلال الفترة الاستعمارية في الصعيدين الإقتصادي،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والإجتماعي، إذ أننا في دراسة هذه الفئة نصبح أمام أفراد لا يمكن تحديدهم بالمجال الجغرافي، وإنما مجموعات متنقلة وأنساب مكرسة حياتها مبنية على التنقل والترحال طوال أيام السنة، لتأدية وظيفة الرعي وتربية المواشي، فلا يمكن إدراك طبيعتها الا بوضعها في الاطار التاريخي الحضاري، وهذا ما يوجب علينا معالجة الموضوع ودراسته دراسة تاريخية أنثروبولوجية تتماشى ومعطيات الإطار الزمني المراد دراسته.

وعليه تأتي إشكالية هذه الورقة البحثية لتبحث، وتميط اللثام عن بعض العادات التي تميزت بها هذه الفئة الاجتماعية دون غيرها من الفئات الأخرى، ضمن الإطار الجغرافي المذكور سالفا، من خلالها نقف على العلاقة التي ربطت هذه الفئة بالأرض والثروة الحيوانية، خاصة ناحية الغرب والجنوب الغربي الجزائري، وتمثلت فيما يلي:

- من هي أهم قبائل البدو الرحل ناحية الغرب والجنوب الغربي؟ ما هي أهم التحولات والتغيرات التي عرفتها فئة البدو الرحل خلال القرن التاسع عشر؟ كيف كانت حياتهم اليومية خلال هذه الفترة ؟ وما هي أهم العادات والتقاليد التي تميز بها هؤلاء عن غيرهم ؟

من هنا تنطلق فرضية الدراسة من التأكيد على فئة البدو الرحل ومدى تمسكها من عدمه بعاداتها وتقاليدها اليومية خلال القرن التاسع عشر، رغم ما لحقها من قمع واضطهاد نتيجة التشريعات الإستعمارية، وهو ما سيتم استعراضه في محاور هذه الدراسة بالإعتماد على المنهج السردي التحليلي التاريخي الأنثروبولوجي، كون أن الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة أصبحت تهتم بدراسة التاريخ المحلي بشكل خاص، وهو ما يجعلنا من خلالها نقوم بدراسة هذه الفئة من المجتمع الريفي الجزائري، فهي تحقيقات أنثوغرافية تخضع في معظمها إلى معطيات إحصائية أو إجتماعية، فهي ملائمة لدراسة تاريخ هذه القبائل ومواطنها في الإطار الجغرافي المذكور سالفا، ومن ثمة تحليل واقعها والوقوف على مختلف عاداتها وتقاليدها التي ميزت حياتها اليومية، وكيف تعاملت تلك القبائل مع القوانين الفرنسية التي اعترضت عاداتها وتقاليدها خصوصا نمط البدو القائم على التنقل والترحال، كل هذا وغيره سيمكننا في نهاية المطاف من استخلاص بعض النتائج والحيثيات لبعض الوقائع التاريخية التي ميزت الحياة اليومية لهؤلاء .

أولا: مفهوم البداوة والقبيلة

1- مفهوم البداوة:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عندما نتحدث عن البداوة فإننا حتما ما نجدها ترتبط إرتباطا وثيقا بمصطلح الترحال، فكثيرا ما نقول البدو الرحل على أساس أن ظاهرة التنقل والترحال بخصائصها وتأثيراتها المختلفة تعد من أبرز مظاهر الحياة في المجمعات البدوية بروزا وأكثر وضوحا وتأثيرا عليها خصوصا الرعوية منها، هذا ما نجده قد تجسد عندنا في الجزائر بحيث لزم هذا اللقب وسمي به كل من لم يكن حضريا وقد سكن البادية خلاف المدينة، فكان من البدو الذين سلكوا سبيل الترحال والتنقل متخذين بيوت الشعر والصوف مسكنا لهم، وهو ما عرف بالخيمة التي هي بمثابة البيت لهؤلاء، كونها لا تطوى إلا في وقت تنقلهم، فهي مسكنهم الرئيسي، وعلامة انتسابهم ومحل الافتخار والعزة لديهم (الفوال صلاح مصطفى، 2005، ج1، ص393).

وهذا ما نجده قد ميز أولئك الذين استوطنوا ناحية الغرب والجنوب الغربي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، وقبلها أيام الوجود العثماني، بحيث أطلق على هؤلاء عدة تسميات كان أبرزها العربان (غير العرب القبالة من الصحراء ناحية القبلة) أي الجنوب، وغيرها من هذه التسميات التي في غالبها كانت تخيل لأصحابها أنها شتيمة لهم إذا يَعدون أنفسهم عربا وليسوا عربانا، أو وافدين من الصحراء ناحية القبلة وغيرها (اتيين برونو، 2001، ص،ص07، 72)، فكلمة البدو هي التسمية الأقرب لمفهوم هؤلاء بحيث تعني لنا أولئك الذين ليس لهم دورا ثابتا، أي يعيشون حياة مختلفة عمادها الترحال دون الثبات، والتنقل والتحرك الدائم لغرض طلب قوت مواشيهم التي هي مصدر رزقهم طوال حياتهم، لذلك ظلت الخيم أو بيت الشعر ملازمة لهم (فوزي مجمج، 2009، ص11).

ومن ناحية أخرى فإننا نقصد بقبائل الغرب الجزائري تلك القبائل التي كانت تتوطن هذه النواحي، كالمنطقة السهبية خصوصا مثل تيارت، البيض، مشرية، سيدي بلعباس، وبعض الأجزاء من تلمسان، وسعيدة وصولا إلى مسيلة وبوسعادة والجلفة، بحيث ضمت هذه المساحة من الأرض مجموعة كبيرة من القبائل البدوية، كقبائل العمور وقبائل أولاد نايل وبني عامر والأرباع وحميان وغيرها من القبائل، التي استقرت بها فترة من الزمن، وغالبا ما كانت تمتد من أواسط فصل الخريف إلى أوائل فصل الربيع، أين تخرج في رحلتها الموسمية إلى مناطق أكثر رطوبة وإخضرارا، حيث الكلأ والماء لتكمل فصل الربيع والصيف هناك وتعود مرة أخرى إلى موطنها الأصلي القريب من مشارف الصحراء في الغالب، فكذلك قبائل الجنوب الغربي هي الأخرى التي كانت تسلك السبيل نفسه في رحلتيها صيفا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وشتاءً لترتاد المناطق التلية ناحية الهضاب العليا والمناطق السهبية التي لها حدود مع المناطق الصحراوية (شمال الصحراء).(هاينريش، 1976، ج1، ص 63).

2- القبيلة ومفهومها:

القبيلة هي عائلة موسعة، تضاف إليها عائلات أخرى من أجل الدفاع عن المصالح المشتركة، وعلى حسب قوة الجماعة تكون مكانة القبيلة وعدد المنضمين إليها من العائلات، بالإضافة إلى عامل المصاهرة الذي يعمل على تقوية روابط المجموعة واتحادها، مما يجعل القرابة داخل القبيلة هي ذات جانب إجتماعي لا قرابة الدم(محمد الخطيب، 2008، ص23)، وهو ما يوصلنا إلى استنتاج وتفسير أن القبيلة بتنظيمها الإجتماعي هذا كانت تمثل أوسع الأشكال الإجتماعية في الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي.

- القبيلة في المفهوم الأنثروبولوجي: من الناحية الأنثروبولوجية فإن القبيلة ذات انتماء مشترك لجد واحد، وذات مجال جغرافي معين يمثل وحدة التراب الذي من الضروري الدفاع عنه وهو ما يزيد في تثمين روابط القرابة الاجتماعية بين أفراد القبيلة (محمد الخطيب، 2008، ص ص60، 61) ، فلقد اختلف الانثربولوجيون من حيث التعريف الخاص بالقبيلة، إذ أنهم وصلوا إلى إيجاد ثلاث مفاهيم أساسية دلالة على ذلك فمنها: هي دلالة على التجمعات السكانية المقيمة والمنتشرة في بقعة جغرافية معينة، ذات هوية ثقافية وعلاقة مع الدولة من حيث التداول مما يضفي عليها طابع الشرعية، وبالتالي هي عبارة عن كيان سياسي ذا خصوصية من خلاله يمتلك نوعا من النظام السياسي ولو يتمثل ذلك في شكله البدائي (الهادي الهروي، 2010، ص49).
- تصور المؤرخين الفرنسيين للقبيلة: لو أتينا إلى القبيلة ومفهومها في الدراسات الفرنسية نذكر ما قال المؤرخ الفرنسي "بورديو" حول القبيلة نقلا عن الأستاذ بوطالب محمد، بحيث اعتبرها مجموعة من الفرق التي يمثلها اتحاد فيدرالي، وأفراد يشتركون في جد واحد، كما يشير صاحب هذا الرأي في التعريف إلى الإبتعاد في التركيز على القرابة الدموية، ويذهب إلى القول بأن القبيلة هي تجمع سكاني متعدد الأصول، والنسب فيها يرتكز على الجانب النظري أكثر مما هو واقعي، ومع ذلك تبقى القبيلة ذات إنتماء واحد لجد مشترك، وذات إنتماء واحد من حيث التسمية ومجال العيش، وذلك وفقا لتقاليد وأعراف موحدة، مما يوجد للقبيلة علاقة متشعبة مع العديد من المجالات، وجعلها مشتركة بين الأسر المكونة لها، كالأسواق الأسبوعية والوليْ أو الضريح الواحد المشترك (محمد نجيب بوطالب، 2002، ص52).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويوضح لنا الأستاذ بوطالب محمد نجيب كذلك ما قاله دوتي (Doutté) عن هذا الموضوع، حينما أعطى للقبيلة تعريفا آخر مغايرا تماما، وذلك في سنة 1903 حينما أشار إلى عدم تجانس القبيلة الواحدة بحيث أنها تضم عدة تطعيمات أضيفت إلى الأصل القبلي، وبذلك يحاول أن يوضح لنا عدم ضرورية الانتماء المشتركة للأب الأكبر في القبيلة، وإنما توجد بعض القبائل التي يسقط فيها هذا الشرط ويحل محله عامل الهدف المشترك الدفاع المشترك وبذلك يسقط دوتي في نظرية ابن خلدون وتصوره للقبيلة بمفهوم التجميع (محمد نجيب بوطالب، 2002، ص52).

ثانيا: التعريف بقبائل الرحل ناحية الغرب والجنوب الغربي (دراسة انثروبولوجية):

انتشرت في نواحي الغرب والجنوب الغربي الجزائري عديد القبائل التي امتهنت حرفة الرعي وتربية المواشي، فعرفت بخصوصية التنقل والترحال بين مختلف أرجاء هذين الناحيتين، شاملة المناطق السهبية والهضاب العليا : تيارت وآفلو وسعيدة، والبيض والجلفة لتمتد نحو مشارف الصحراء حيث المناخ الشبه الجاف كما هو الحال في الأغواط، وغرداية والنعامة والمشرية إلى غاية بشار (فاطمة حباش، 2005، ص-ص 20- 25.).

1- قبائل الرحل ناحية الغرب:

لقد ضمَ هذا الإقليم العديد من القبائل ذات الطابع البدوي، التي امتهنت التنقل والترحال نذكر من بينها:

1-1- قبيلة المخادمة :

يرجع نسبهم إلى أولاد سعيد عتبة، الذين قدموا من تونس في حدود سنة 1050هـ، فاستوطنوا الناحية الجنوبية من الجزائر بواحات ورقلة، وترجع تسميتهم إلى كلمة خادم، وهي إحدى القبائل الموالية لأولاد سيدي الشيخ، عرف عنهم شدة البأس في القتال كما تميزوا بالطابع البدوي الذي يعتمد على التنقل والترحال الدائم من أجل مزاولة حرفة الرعي فكانوا يقميون بنواحي ورقلة فصلي الشتاء والربيع وينتقل بعضهم إلى سهول السرسو في فصلي الصيف والخريف، ومن بينهم من ينتقل إلى واد زرقون وواد سرور بناحية البيض، حيث كانوا يلتقون بقبائل رحل أخرى كأولاد أحمد ابن حسان وبني ثور. (فاطمة حباش، 2005، ص-ص 20- 29.).

2-1- قبيلة الأحرار:

وهم مجموعة من القبائل التي سكنت إقليم تيارت أو تيهرت وانقسمت إلى قسمين هما:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أ- الأحرار الشراقة: وهم أولاد زواي، الشاوية، أولاد عزيز، أولاد بلحصين وأولاد بوعفيف، الكعابرة وقد قدر عددهم خلال أربعينيات القرن التاسع عشر باثني عشر ألف نسمة (12000).

ب- الأحرار الغرابة: قدر عدد هؤلاء كذلك خلال الفترة نفسها بحوالي أربعة عشر ألف وثمانمائة نسمة (14800)، إذ ضم هذا القسم قبائل أولاد زيان الشراقة، والغرابة، وأولاد الدهالسة، والغوادي وأولاد حدو.(فاطمة حباش، 2005، ص29).

1-3- قبائل أولاد سيدي منصور وأولاد خليف:

استوطنت هذه القبائل حدود تيارت وجبال العمور وإلى غاية آفلو، بحيث ضمت في حدود سنة 1843م ثمانية دواوير، وقد عرفوا بتربية الماشية والاعتماد على أسلوب الترحال والتنقل لغرض الرعي، وتجمعت هذه القبائل حول ثلاث عيون تقع جنوب جبل الناظور ومنها عين الوسخ (دائرة عين الذهب حاليا)، عين الرقاي، وعين القطيفة، الأمر الذي جعل القوات الفرنسية الاستعمارية تستعمل القوة ضدهم بهدف طردهم من تلك المناطق، خاصة أولاد سيدي منصور الذي تحالفوا مع ثورة أولاد سيد الشيخ عكس أولاد خليف الذين تحالفوا مع فرنسا، مما جعل قوات الاحتلال تفرض حصار لمدة أشهر على أولاد سيدي منصور وتمنع عنهم الماء والتموين وتمارس ضدهم عملية إبادة جماعية بعد معركة ملحمية سنة 1864م. (كمال بن صحراوي، 2015، ص325).

2- قبائل الرحل ناحية الجنوب الغربي:

احتوى هذا الإقليم على الكثير من القبائل خاصة تلك التي عرفت بتعدد بطونها وتشعبها، فضمت أكثر من خمس بطون ومنها نذكر:

2-1- قبيلة العمور وفروعها (الفرق والدواوير) ومواطنها:

تعتبر من بين أهم القبائل البدوية في المنطقة الصحراوية، ينسبهم ابن خلدون لغير الهلاليين (كمال بن صحراوي، 2015، ص325)، بينما جل النسابين يرجعون أصولهم إلى بني هلال الوافدين إلى المغرب الإسلامي، استوطنت في منطقة جبال القصور، حيث أفاد أحد التقارير الفرنسية الاستعمارية الصادر بتاريخ 04 مارس من سنة 1912 أن هذه القبيلة كانت تتكون من ثلاثة فروع نجملها فيما يلي:

أولاد بكر: بلغ عدد أفرادها حوالي 1806 فرد، تعتبر من بين أكبر المجموعات الثلاث مما أوجد لها ثلاث فرق هي: أولاد عبد الله بمجموع 846 فرد، وهي الأخرى متفرقة على عدد من الدواوير منها: أولاد لعور، أولاد قدور،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولاد دحمان وغيرهم من الدواوير، أما الفرقة الثانية وهم أولاد قطيب بلغ عدد أفرادها 600 فرد لها عدة دواوير منهم: أولاد خريص، أولاد خليفة، أولاد التومي، أولاد ابراهيم، وغيرهم، بينما الفرقة الثالثة هم المذابيح الذين بلغ عددهم خلال الفترة الاستعمارية 360 فرد، تكونت هي الأخرى من مجموعة من الدواوير منها أولاد موسى، أولاد عيسى، أولاد الجيلالي، أولاد عبيد والسوالم (عبد الرحمن ابن خلدون ،2000، ج6، ص34).

- أولاد سليم: المجموعة الثانية في القبيلة إذ بلغ عدد أفرادها 1338 فرد تكونت هذه المجموعة من ثلاث فرق:
- المرينات وعددها 524 فرد، أما دواويرهم فتمثلت في كل من: أولاد سعيد، بوترعة، أولاد عيسى ولد علي، أولاد جلول، أولاد بوذن، أولاد العوافي، وأولاد القدادرة، بينما الفرقة الثانية هم أولاد الشحمي الذي قدر عدد أفرادهم بـ 450 فرد، تكونت من دواوير منها أولاد أحمد، أولاد التومي، فيما كانت الفرقة الثالثة أولاد بوشارب تضم حوالي 260 فرد، ودواويرها الزياتنة، العوابد، الرزازقة، المناصرة (مجدوب ميساوي، 2018، ص 128).
- الصوالي: بلغ عدد أفراد هذه المجموعة حوالي 1053 فرد توزعوا على ثلاث فرق وهي:
- أولاد عليات: البالغ عددهم 420 فرد، من دواويرهم أولاد أعمر، أولاد بوبكر، أولاد موسى، أولاد لعور، بينما الفرقة الثانية هم أولاد سليمان البالغ عددهم 333 فرد، أولاد نبو، أولاد بوزيان، لهيايكة، أولاد الشيخ يعتبر هؤلاء من بين أهم دواوير هذه الفرقة، أما الفرقة الثالثة فهي أولاد عامر وعددهم 300 فرد، أولاد الخشعي، أولاد العيد وغيرهما من الدواوير.

وحسب ما يورده محمد بن عيسى بوحميدة حول تعداد هذه القبيلة باعتبار فرقة المذابيح إحدى بطونها، فإنه يذكر أن عدد أفرادها قد بلغ خلال العشرية الأولى من القرن العشرين حوالي 4187 فرد وهذا باستناده على احدى التقارير الفرنسية الصادرة خلال هذه الفترة عن الإدارة الاستعمارية (مجدوب ميساوي، 2018، ص 128).

كما تذكر إحدى تقارير الضابط الفرنسي مونثانبوري (Monthanbery) المحررة بمنطقة عين الصفراء بتاريخ 08 فيفري 1888 أن قبيلة العمور اندمجت مع إحدى القبائل البدوية (محمد بن عيسى بوحميدة، 2011، ص ص. 12- 42)، (أولاد جرير)، غير أن هذه الرواية يجب أن تُؤخذ بتحفظ نظرا لإنفراد صاحبها بها.

2-2- مواطنها (إنتشارها الجغرافي):

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إذا تحدثنا عن مواطن قبيلة العمور فإننا نعود إلى بن خلدون الذي ذكر المواطن الأصلية لهذه القبيلة والتي كانت بالناحية الشرقية للجزائر خاصة في جنوبها الشرقي، وسرعان ما تبددت تدريجيا بمرور الوقت، لتتحول بإتجاه ناحية الجنوب الغربي جراء تتبع االسلطة الإستعماري الفرنسية لها، وأساليب الإدارة القمعية المسلطة عليها، بحيث أن بعض فروعها كأولاد عزيز، وأولاد فارس، وأولاد ماضي كانت تقيم بسفح جبل الأوراس المطل على بسكرة، إذ أنها كانت متجاورة مع أولاد رياح الذين كانوا بجوار الزواودة التي كانت ترتاد مراعيها وتجول بمواطنهم.

ويضيف في هذا السياق أن موطن أولاد شكر كان بجبل راشد ثم تحولوا نحو جبل كسال، ومنهم من بقي هناك وإستوطنه (مجدوب ميساوي، 2018، ص 138)، ومنهم من غادر المنطقة باتجاه الغرب ومنهم من إستوطن شماله ومنهم من اتخذ جنوبه موطنا له كمنطقة القصور ناحية سلسلة الأطلس الصحراوي، كقصور فجيج، بني ونيف، مقرار التحتاني، الصفيصفة، عسلة، عين الصفراء، تيوت، الشلالة (الظهرانية، القبلية)، ومقرار الفوقاني، وبوسمغون، الأبيض سيد الشيخ، مشرية الصغيرة، سيدي سليمان، بوعلام، المايعة، خلاف، الغسول، بريزينة، سيدي طيفور، وستيتن كلها مناطق تقع في الجنوب الغربي من الجزائر كانت تتخذها بطون هذه القبيلة ملجأ لها في فصل الشتاء حينما تغادر المناطق التلية (cominardi, 1995, p45).

في حين نجد أن بعض الفرق من قبيلة العمور قد امتد نفوذها وضربت بترحالها حتى حدود فندي وموغل وبوكايس وهي كلها قصور بشار (مجدوب ميساوي، 2018، ص140)، إذ أنها بموجب تلك التنقلات استولت على بعض واحات النخيل بمنطقة فجيج ومثال ذلك دواوير أولاد قطيب، أما المرينات فقد وصلوا نواحي بإيش ومغرار على الحدود الغربية الجزائرية مع المغرب، بينما فرق أخرى لم تتوقف إلى هذا الحد بل أصبحت تجوب بقطعانها مجالات مختلفة من الناحية الغربية كعين بن خليل، وصولا حتى العريشة قرب ثنة الساسي مستغلة وفرة المراعي وغناها بمورد الماء، مما دفعها ذلك إلى مجاورة كل من قبيلة حميان وبني قيل في مواطنها (مجدوب ميساوي، 2018، ص129).

ومن بين مميزات هذه المواطن التي كانت ترتادها فروع هذه القبيلة كمنطقة القصور حيث تتميز بتوسطها سلسلة الأطلس الصحراوي، وثرائها بمنابع الماء المتمثل في تلك العيون المتفجرة وسط تلك القصور الأمر الذي جعل منها منطقة ذات استقطاب لعدة قبائل يغلب عليها نمط اللا إستقرار خاصة العربية منها كالعمور وأولاد

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

سيد الشيخ، وحميان، أولاد جرير، ذوي منيع، إذ أنها كلها امتهنت حرفة الرعي الذي يُعتبر مصدر رزقها معتمدة على حياة الحل والترحال (مجدوب ميساوي، 2018، ص130).

3- قبيلة حميان:

تعتبر إحدى القبائل العربية الهلالية، وتسمى كذلك بحميدان (عبد الرحمن ابن خلدون ،2000، ج6، ص،ص27، 174)، وهي بطن من بطون زغبة من هلال بن عامر من العدنانية، كانت تقيم بإفريقيا الشمالية (عمر رضا كحالة، (د.س)، ص 208)، إذ إشتهرت هذه القبيلة بالفروسية وشجاعة أفرادها وهذا حسب ما وصفه الجنرال الفرنسي شانزي (Chanzy) من خلال قوله هذا: "...تمتاز بالفروسية والمغامرة والشجاعة، وهي من النوع الصحراوي غير متعصب ومستلب ذو ديانة سهلة، (...) وروح القبيلة ليست سيئة نحو السيادة وسهلة القبول للحفاظ على القيادة مع توجيه أكثر للإدارة بالمراحل"، إذ أن الواضح من خلال رواية هذا القائد الفرنسي هو إعطاء انطباع على أن أفرادها كانوا من بين من قدم رموز الولاء والطاعة لسلطات الاحتلال الفرنسي، وقد احتوت هذه القبيلة على عدة بطون من بينها شفاعة، وحميان الجنبة (chanzy, 1900,p115)

وعليه تعتبر قبيلة حميان إحدى القبائل البدوية التي اعتمدت على الترحال والتنقل بحثا عن مواطن الإستقرار، نظرا لإمتهانها حرفة الرعي متى توفرت عناصرها من مراعي ومياه، بحيث إرتادت مناطق مختلفة من أرجاء البلاد حتى وصل بها الحال أحيان إلى تجاوز الحدود الغربية ضمن الأراضي المغربية ناحية منطقة عوينات الدياب، وبهذا فهي تعد من بين القبائل الكبرى بإقليم الهضاب العليا الغربية في جزئه الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، مقارنة بقبيلة العمور، وقبيلة أولاد سيدي الشيخ(Sari,djillali, 1891, p28) .

4- قبيلة الأرباع:

تعد قبيلة الأرباع من بين القبائل العربية الهلالية التي استقرت بناحية الزاب أي في الخط الشمالي من صحراء الجزائر، بحيث تتكون هذه القبيلة من أربعة بطون أو عروش، وهم: العمامرة، أولاد زيد، الحجاج، أولاد صالح، بحيث زحفت هذه القبيلة نحو أراضي الأغواط نتيجة ضغط قبائل أولاد جلال عليهم في منطقة الزاب، وعليه وأثناء تنقلات هذه القبيلة انضمت إليها بعض الفروع الأخرى بنواحي تاجموت نجد منها أولاد سيدي عطا لله، بينما بنواحي مسعد فإنضم لها الحرازلية، فيما بقي أولاد زيد ببلاد الزاب، ولذلك تعتبر قبيلة الأرباع من بين القبائل البدوية التي اعتمدت أسلوب الحل والترحال (محمد السويدي، 1984، ص167).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وخلال سنة 1866م تشكلت هذه القبيلة من عشرة (10) فروع، أبرزها أولاد سيدي سليمان، أولاد بن شاعة (الحرازلية)، الحجاج، الزكازكة، العمامرة، المخاليف الجرب، العبابدة صفران، أولاد صالح، أولاد زيان، أولاد سيدي عطا لله، ولعل هذا التقسيم الذي زاد عن الفروع الأولى هو السياسة الفرنسية المتخذة ضد القبائل التي كانت تقف إلى جانب المقاومات الشعبية، أو تساندها بتقديم المؤونة والعتاد، وهو ما دفع بها إلى تشتيت قبيلة الأرباع وتقسيمها عملا على إضعاف شوكتها لما ثبت دعمها لثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1866م، مما رأت في ذلك كسرا لإمتداد ثورتهم نحو الأغواط (محمد السويدي، 1984، ص167).

كما تعتبر قبيلة الأرباع من بين القبائل البدوية التي اعتمدت على نمط الترحال والتنقل بشكل أكثر عن قبائل البدو الرحل الجزائرية، كما امتازت بكثرة العدد مقارنة بغيرها من القبائل، بحيث نجد أن عدد أفرادها خلال بدايات القرن العشرين قد بلغ نحو 22 ألف نسمة.

وقد امتهن نسبة 95% من أفرادها تربية الأغنام، هؤلاء الذين عُرفوا برحلتي الصيف والشتاء بين الصحراء والمناطق التلية، أو ما عرف بإسم العشابة أي طالبي العشب لمواشيهم، إذ أن من بين خصائص هذه الجماعة البدوية هو الإنتقال الجماعي ليس للأفراد فقط، وإنما الإنتقال يلازم حتى البيئة التي تعيش فيها هذه القبيلة مما طبع عليها طابع الإنتقال الكمي لا الكيفي، بحيث هذا الترحال يكون خاص بالأفراد وخيمهم وأدواتهم التي يستعملونها في حياتهم اليومية، وليس كباقي القبائل البدوية التي ينتقل فيها الأفراد دون بيئتهم مما يحتم عليهم التكيف والتأقلم مع البيئة الجديدة التي يحلون بها من أجل قضاء موسم الصيف بالمناطق التلية (محمد السويدي، 1984، ص168).

ثالثا: خصائص وقيم البدو الرحل :

1- خصائص الحياة اليومية:

عندما نتحدث عن السكن واللباس الخاص بقبائل الرحل، فلابد من الإشارة إلى الطابع الغالب في ذلك الوقت (أواخر العهد العثماني وطيلة القرن التاسع عشر ميلادي)، عند ساكنة الريف الجزائري، فهو الطابع البدوي والذي يعتمد أهله على الخيام كمساكن لهم، فهي:

أ- المسكن أو الخيمة (La tente): فقد ذكرها بن خلدون حينما تحدث عن البدو قائلا: " أن أهل البدو مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو من الشجر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أو من الطين والحجر" (ابن خلدون، 1992، ص121) ، فهي تصنع من الصوف والوبر والشعر وبألوان مختلفة منها الأبيض والأحمر والأسود، كما تأخذ شكل الدائرة نظرا لتثبيتها بواسطة أوتاد تكون مصنوعة من الخشب، كما تحاط الخيمة بمجموعة من الحجارة التي توضع عليها الأواني، ومنها من توضع كموقد عليها القدور والصحون التي صنعت من الطين، وتعددت الخيم لدى الأسرة الواحدة داخل القبيلة وهذا دليل على ثراء تلك الأسرة وكثرة عيالها، فمنها ما هو مخصص للطهي، وآخر لإستقبال الضيوف، ومنها ما هو مخصص للنوم، ومنها ما خصص جزء منها لأعلاف المواشي، أو ربط الخراف والدواجن (حمدان خوجة، 1982، ص34).

فالخيمة ذلك البيت المتنقل يقطنه البدو الرحل أيام إقامتهم في نجع معين، غالبا ما تكون للمتزوج من الرجال، فهي تضم الرجل والمرأة معا، فهي النواة الأساسية للمجتمع الظاعن، أُعدت للنوم والضيوف، وتحضير الطعام وغيرها، والمرأة هي الآمر الناهي فيها، والرجل لا يَعدو أن يكون سوى ضيفا فيها، فتختلف مقاسات الخيم وعلوها وإتساعها على حسب كل قبيلة وعاداتها في ذلك، ومثال عن ذلك الخيمة السباعية التي تبلغ 24 ذراعا إلى 30 ذراعا أي (12- 15 م) يوضع خيط أصفر في نسيجها المغزول من وبر الجمال، وعليه نورد بعض الأبيات الشعرية في وصفها:

تَراءت لعيني خَيمةٌ في سوادها كقطعة ليل قد أقيمت على تل

مزينة بالوشي من كل جانب أجيدت لدى الابرام واللف والغزل

بخيمة عز ما تزال معدة لاكرام ضيف في اليسار وفي القل

وَكُلُ وِسَادِ مِنْ جُلُودِ عَتِيقَة مُنَقَمَةُ تَزْهُو بِأَهْدَابِهَا الهُدَلُ (محمد دحمان ، 2012، ص ص60- 61).

فكل هذه الأبيات أوردها صاحبها للتعريف بالخيمة وتعديد وظائفها، ومميزات كل نوع منها، إذ تعد الخيمة المرآة الواقعية لما عليه سكانها من أوضاع اجتماعية واقتصادية، فهي دليل لغنى أهلها أو افتقارهم إذ أن مظهرها يعدي انعكاسا على شخصية أهلها وأحوالهم .

ب- الملبس: وفيما يخص اللباس عند البدو الرحل، فإن حمدان بن عثمان خوجة يورد لنا في كتابه بعض المعطيات التي تميز بها البدوي عن غيره من أهل الحضر من ملبس ومأكل، بحيث نجد أن البدوي كان لباسه في غالب الأحيان من الصوف، فقد لبس ثوبه الذي يشبه الكيس المثقوب من ناحية الرأس والذراعين والساقين، هذا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الثوب الذي صنعته النساء من الصوف بلونيه الأسود والأبيض، إذ أنه يمثل القميص والسروال في آن واحد، غير أن تعرض هذا الثوب لمياه المطر وتبلله تجعل من رائحته رائحة لا تطاق، بينما نجد لباس آخر قد ميز الرجل البدوي هو لباس البرنوس الذي يوضع فوق الثوب الأول، فهو مصنوع من الوبر أو الصوف أو منهما معا، وهو ما يعرف في أوروبا بالكساء، فالرجل البدوي على العموم نجد لديه برنوس واحد يكفيه مدى حياته، فيلبسه طوال فترات حياته حتى يبلى، كما نجد البعض من البدو الرحل يلبس على رأسه قلنسوة لفترات طويلة حتى تبلى هي الأخرى، فلا يبالي صاحبها من ذلك، بالإضافة إلى الأحذية التي صنعت من مادة الجلد المأخوذ من حيوانته، فهو صنع بسيط ومحلي أي تصنعه المرأة في البيت لتكسوا نفسها وأهل بيتها، كما نجده هي الأخرى خصت نفسها بصناعة الحائك المصنوع من مادة القماش تكفه المرأة بقطعة من الكساء وتضيف بعضهن قطعة من الكتان تضعها على رأسها، حيث يُضيف لنا حمدان خوجة في هذا الصدد قوله: "أما الأطفال فإنهم عراة تماما كما رأيتهم بنفسي، ولا تعطى لهم ألبسة إلا في الشتاء، أو عندما يصلون سن البلوغ" (حمدان خوجة، 1982، ص ص: 23، 24).

ولعل ذلك دليل على قلة الحيلة لدى ساكنة الريف عامة، وعند هؤلاء البدو الرحل خاصة، وكذلك طبيعة الحياة البدوية التي كانت تقوم على مبدأ التنقل والترحال من أجل غرض الرعي بعيدة عن نزوات الحياة ومتطلباتها.

ج- المأكل المشرب: إن حياة هؤلاء البدو اليومية تختلف عن غيرهم من المستقرين أو أهل الحضر، بحيث إذا تطرقنا إلى طبيعة الأكل والشراب والنوم وكيفيتهم في ذلك، فإننا نلمح ذلك الاختلاف في الطريقة والعادة التي يتميزون بها عن غيرهم فمثلا النوم الذي يعتبر أحد الحاجيات البيولوجية في الإنسان، فطريقتهم في ذلك أنهم في الغالب ما يخلعون ثيابهم، وأولها البرنوس الذي نجدهم يحولونه إلى وسادة توضع تحت الرأس عند النوم، فيكون حينئذ التمدد على الرمال دون مبالاة من شيء أيام الصيف، بينما أيام الشتاء ونظرا لبرودة الجَو، فإن البرنوس يأخذ مهمة الغطاء الذي يغطي به البدوي أي الرجل نفسه بعد أن يمتد على حصير إن وجد، والاستئناس بالنَار ذات الحطب التي يتم إشعالها في غالب الأحيان عندما يكون موعد النوم قريب، ناهيك عن الطعام الذي كان يُؤكل عند البدوي والذي مادته الأولى الشعير الذي يكون منه الخبز، بالإضافة إلى زيت الزيتون والتين المجفف والبلوط، وشرب الحليب المستخرج من ضروع المواشي، وكذا اللَحم الذي غالبا ما يتم ذبح الأغنام والدواجن للضيوف، لأن أهل البدو قد عرفوا بحسن الضيافة والجود والكرم، لأنه قانون مقدس عندهم، حيث يرفق اللَحم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لطبق الكسكسي في أغلب الأحيان، فكثيرا ما يشبه يوم إكرام الضيوف بيوم العيد وذلك نظرا للفرحة التي تعم أهل القبيلة، كما يعقب هذا الطبق طبق التحلية الذي لا يوجد فيه غير التين المجفف في الغالب، ورغم أنها وجدت لهم فواكه أخرى غيره إلا أنهم لم يعرفوا إلا القليل منها، وإن وجدت فإنها تكون موجهة نحو السوق دون أن تصل إليهم(حمدان خوجة، 1982، ص ص: 24، 25).

كما عملت المرأة البدوية على القيام بالوظائف المنزلية بما فيها تلك التي تشترك فيها مع الرجل في آن واحد، فكانت تحلب الأغنام والأبقار ويقمن النسوة بمخض الحليب لإستخراج اللبن والزبدة، وكذلك يعتنين بصغار هذه الحيوانات، بالإضافة إلى سقي الماء وجلبه وتقطيع الحطب لإشعال النار، وكلفن بنسج الخيام التي صنعت من الشعر والوبر، وخياطة الحياكة والبرانس المصنوعة من الصوف والقطن والوبر، فهن يقمن بكل أمور المنزل على العموم، بما في ذلك طحن الحبوب التي يتم جمعها من السنابل، وعجنها للأكل، ولعل الأمر الذي ساعد في القيام بكل تلك الأعمال وبشكل مستمر؛ هو تعدد الزوجات التي في الغالب نجد الرجل الواحد له زوجتين أو ثلاثة حتى يستعين بهن في أشغاله (حمدان خوجة، 1982، ص ص: 32- 34)..

2- القيم:

الدين: هو الركيزة الأساسية في كل مجتمع إنساني، حيث يقوم بوظائف إجتماعية رئيسية تهدف إلى حفظ تماسك وترابط أفراد مجتمعه، بالإضافة إلى الوظائف النفسية والروحية التي تتجلى في القيام بالمعتقد الديني إذ أن الدين هو أحد المحددات البارزة لهوية المجتمع، وفئة البدو الرحل إحدى الفئات التي اعتنت بالمعتقد الديني الإسلامي القائم على الشريعة الإسلامية السمحة، والمذهب المالكي المنتشر بمنطقة المغرب العربي نظرا لتلبية ميول العامة ورغباتها، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته الزوايا في هذا الجانب من تعليم القرآن، والأحاديث أيام الوجود الاستعماري الفرنسي، الأمر الذي من خلاله حافظت هذه الفئة الاجتماعية على تأدية واجبها الروحي الإيماني من صلاة وصوم وزكاة وغيرها في هذا الجانب (ابراهيم الحيسن، 2011، ص ص110، 111).

الكرم: صفة من صفات الله تعالى وهو من القيم التي نجدها عند الرجل البدو خاصة، الذي عرف بكثرة الجود والعطاء، إذ أن قبائل البدو الرحل الجزائرية كانت تتجسد فيها طقوس الضيافة والترحيب والإستقبال لضيوفهم ومثال ذلك ما قاله الشاعر:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يلكاوِ لْخَاطر بالترحيب يدرك فلخير ولحسان

ويداري بتَاي والحليب محلوب من أمات لحيران (ابراهيم الحيسن، 2011، ص 114)

فالبدوي في إكرامه لضيفه يقدم له ما توفر لديه من طعام، ويسارعون في تقديم الشراب والأكل لهم، بالإضافة إلى الحفاوة والمساعدة في تقديم يد العون لهم من خلال إنزال الأمتعة عن ظهور الدواب التي تقلها، فمن بين تلك الأوصاف التي وصف بها هؤلاء البدو الرحل في جانب الضيافة والكرم، فلان جييد تعني ولد خمية كبيرة (ابراهيم الحيسن، 2011، ص ص114- 116).

رابعا: طقوس وعادات البدو الرحل :

1- طقوس الهول والغناء (الأغنية البدوية) عند البدو الرحل:

الهول لغة هو الغناء والعزف، وهو فن سماعي يهذب النفس ويُخلق الوجدان، فقد عرف لدى قبائل البدو الرحل هذا الفن الغنائي ذو إبداع شعبي إرتبط بهذه الفئة الاجتماعية التي احترفته، وتعتاش منه، فهو عبارة عن قصائص حماسية من الشعر الشعبي تنشدها هذه الفئة في أسفارها أو مناسباتها لغرض تمجيد هذا الأمير أو ذاك، تتغنى بالماضي وتعايش بها الحاضر وتستشرف المستقبل المشرق، تذكر تلك البطولات والتشجيعات وغيرها، فكثيرا ما كانت تتغنى بهذه القصائد في الحروب والمعارك والأعياد (ابراهيم الحيسن، 2011، ص ص209، 210).

ففن الغناء يعطينا تصور للجانب الثقافي الذي كان عليه أفراد هؤلاء القبائل، فهو تعلقهم بالفن الغنائي البدوي أو الأغنية البدوية التي كانت محل إهتمام عند هؤلاء بإعتبارها أسلوب تعبير لديهم من خلال القصائد التي كانوا ينجزونها ويتغنون بها نظرا لتلاؤمها مع المناخ الطبيعي، وكذا الجانب الإجتماعي لهؤلاء، والمستوى الثقافي الذي يتماشى وهذا الموروث الثقافي الذي لا يراعي الجانب التعليمي بشطريه القراءة والكتابة، مع أن للأغنية البدوية لحن وأداء تقليدي راسخ عند هؤلاء بالإضافة الى آلات موسيقية خاصة بها، وهي القلال وتسمى كذلك بالقلوز في بعض المناطق، وهي آلة إيقاعية قديمة تستعمل فيها اليدين للضرب ولها أشكال متعددة حسب كل منطقة، كما عرفت بالدف وهو ذو حجمين إما صغير أو كبير أما في المغرب العربي تعرفُ بالقلاَّلْ وتطورت تدريجيا أصبحت تسمى بالدربوكة، وتصنع من مادتي الجلد والخشب الخاص بنبات الصبار (غوثي شقرون، 2005، ص ص122، 123)، والشبَّابة؛ وتسمى أيضا القصبة، أو النَايْ لدى المشارقة وهي من أدوات الإيقاع

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التي تصنع في الغالب من طرف العازفين والنافخين عليها، فتصنع من نبات القصب الجيد، ذات أثقاب إما خمسة أو ستة، أو سبعة من خلال تحريك القَصاب أو العازف لأصابعه فوق تلك الثقوب والنفخ في القصبة في آن واحد تحدث بدورها أنغام عذبة وإحساس لدى الرجل البدوي، وهي ثلاثة أنواع: الخماسية، والسداسية، والسباعية، كل منها خاصة بجهة معينة من جهات الجزائر الشرقية والغربية والصحراوية (غوثي شقرون، 2005، ص124).

فهي ذات الأنواع الثلاثة كل نوع منها خاص بجهة معينة الخماسية للبدو الصحراوي، والسداسية للغناء البدوي بغرب ووسط الجزائر، بينما السباعية فهي من اختصاص الطرب البدوي بجهة شرق الجزائر، وكذا البندير يصنع من الخشب عادة في شكل إطار خشبي مستدير، اختص النساء بصناعته في غالب الأحيان، كما تُصد إحدى أوجه الإطار بقطعة جلد غالب ما تكون من جلد الماعز أو البقر، وفي الغالب ترسم أشكال معينة على ظهر هذا الجلد ترمز الى أبعاد مختلف منها ما له بعد ديني كالنجمة والهلال، أو بعد وطني وغيرها وتأخذ هذه الآلة أشكال مختلفة أما صغيرة أو متوسطة الحجم أو كبيرة (غوثي شقرون، 2005، ص122).

كلها آلات موسيقية إيقاعية اختص بصناعتها أهلها الذين يعملون على الضرب عليها واستعمالها، إذ أنها في الغالب تصنع من مادة الخشب (غوثي شقرون، 2005، ص ص72- 74).

بالإضافة إلى كل هذا فلعل الملفت للانتباه من خلال هذا الفن، أنه يتناسب مع التغني وتمجيد القبيلة وأهلها لدى البدو الرحل، كما نجد من خلاله تغنى أصحابه بمحاسن الفرس وصاحبه، والخيمة وأهلها، وذكر كل ما تجود به القبائل ذات الطابع البدوي الأصيل، ولعل من بين الذين حافظوا على هذا الغناء البدوي الأصيل ونقلوه بكل صدق وأمانة نجد الشيخ " قيوس الجيلالي" المعروف "بالجيلالي عين تادلس" وعبد القادر الخالدي" وغيرهم من الشيوخ الآخرين في الوقت الحالي.

ولعل من بين الأغاني البدوية التي كانت متداولة لدى أهل البدو أيام الوجود الاستعماري الفرنسي والتي لها علاقة بالجهاد وكذا الغابة والجبال ودورها في المقاومات الشعبية والثورة التحريرية نجد تلك التي تغنت بها نساء منطقة وادي الشولي ومنها :

يا جبال الجندیا كي علاو ويرب سهللهم لوعار

راهم فلجبال العاليين وليا ابغيتو المجاهدين

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الزيش المحرر وين راه ايبات آبويا قاع الجبال اتعرات

آنوري ، آنوري يالغابة ، آنوري يا الغابة أحنينة أدرق المجاهدين (غوثي شقرون، 2005، ص152)

2- اللهجة البدوية وواقع التعليم:

أ- اللهجة البدوية: لقد عرف البدو بلهجتهم العربية القريبة من العربية الفصحة، إذ تتميز بإستعمالها لحرف القاف الصوتي، وهي ذات الأصل الهلالي حيث تنطق حرف القاف الأصم، فالمتتبع لهذه اللهجة وأماكن انتشارها فإنه يتبن أنها كانت منتشرة بين أفراد قبيلة الثعالبة، لتعم بعدها الأوطان والأودية المنخفضة في أقاليم سباو ويسر، وقد ساعد في إنتشار هذه اللهجة البدوية توطن العديد من القبائل البدوية التي امتهنت حرفة الرعي، ومارست عملية الترحال والتنقل، الأمر الذي أوجد هذه اللهجة لدى العديد من القبائل منها أولاد سمير، بني ثور، التوارقة، وعمراوة، الخنشة، وحجوط، وأولاد منديل ، هذه القبائل الهلالية خاصة قد ساهمت بتنقلاتها في انتشار هذه اللهجة بشكل واسع بين مختلف القبائل التي جاورتها وتعاملت معها خصوصا عن طريق التجارة في الأسواق، فقد انتشرت بشكل واسع حتى شملت أفراد القبائل البدوية التي أصبحت ذات اللهجتين البربرية والبدوية العربية كقبائل بني مناصر، وبني جعاد، بني سليم، بني صالح (سعيدوني نصر الدين، 2013، ص ص 394، 395).

ب- الواقع التعليمي في حياة البدو الرحل:

يعتبر التعليم الركيزة الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات، سواء كان ذلك في القديم أو الحديث غير أن ذلك نجده غائبا عند قبائل البدو الرحل الجزائرية نظرا لخصائص هذه الفئة الاجتماعية، وأنماط حياتها التي تعتمد على التنقل والترحال طيلة أيام السنة، مما يتنافى مع واقع التعليم وخصائصه، وكذا أسسه التي تعتمد على الإستقرار بالدرجة الأولى، حتى يخضع المتعلم لعملية تلقي بشكل صحيح ومستمر (سعيدوني نصر الدين، 2013، ص ص 390، 395) .

3- العادات في الولادة والختان:

هناك العديد من العادات التي إرتبطت بالبدو الرحل دون غيرهم من أفراد المجتمع، ومثال عن ذلك في جانب الولادة التي هي منطلق للحياة الفعلية للإنسان، وهنا نذكر تلك العادات التي كانت شائعة عند هؤلاء، فأيام الحمل الأخيرة عند المرأة كانت تقوم بوضع الحناء لتخصيب يديها، فهذا رمزا من رموز الإخبار على إقتراب

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

موعد الولادة، فأثناء لحظة الولادة يتم تحضير ماء بارد توضع فيه أحجار ساخنة، وتضاف إلى ذلك الماء حبات القرنفل، وغيرها من العادات التي كانت تصحبها المرأة في هذه المرحلة، كما تعمل عائلة المولود على غسله ودهنه بزيت الزيتون، ونثر الحناء تحت ابطه وفخذيه ورقبته، وتذبح الذبائح عن المولود وهو ما يعرف بالعقيقة، كما يتم اختيار تسية لهذا المولود وغالبا ما يكون إسم الولد محمد والبنت فاطمة تيمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته، في حين هناك من يضع لمولود اسم مركب من اسمين كمحمد لمين أو محمد محمود وغيرها من العادات التي كانت لديهم في هذا الجانب (ابراهيم الحيسن، 2011، ص ص155- 160).

أما فيما يخص الختان فهو خاص بالذكور دون غيرهم، فهو من الطهارة للذكر حينما يتم بَتر وقطع الجلدة الزائدة من عضوه الذكري بآلة حالة، فهو سنة إسلامية إحتفظ بها هؤلاء كمثلهم من المجتمعات الإسلامية، لما لها من فائدة جسدية وروحية لدى الفرد، فمن بين العادات التي تصاحب هذه العملية هي لبس المختون لملابس جديدة في العموم تكون غشابية بيضاء، ناهيك على ما يصاحب العملية من زغاريد احتفالا وفرحا، يتم فيها زيارة الصبي المختون واعطائه التباريك من نقود وغيرها من الهدايا (ابراهيم الحيسن، 2011، ص ص114- 116).

الخاتمة:

لم يحض موضوع البدو الرحل بالإهتمام الكافي من قبل الباحثين، خاصة من حيث الدراسات المعمقة في ميدان العلوم الإنسانية، وكذا الاجتماعية خاصة من الناحية الأنثروبولوجية، إذ أن هذه الفئة من المجتمع الجزائري كانت ولا تزال لها الدور الكبير في الجانبين الإقتصادي والإجتماعي وكذا الثقافي، المتمثل في المحافظة على الثروة الحيوانية من جهة، وإحدى مكونات هذا المجتمع من جهة ثانية، والمحافظة على موروثه الثقافي وأصالته من ناحية ثالثة.

وكخلاصة لما ذكر أعلاه يمكننا تسجيل النتائج التالية:

القبيلة ككيان إجتماعي وفئة البدو الرحل كمجموعات بشـرية قائمة بذاتها، متنقلة أو مقيمة على أرض محددة عرفت بلهجتها الخاصة أو المشتركة وتجْمع أفرادها رابطة الدم والقرابة .

تنوع وتعدد القبائل البدوية وفروعها على امتداد القطر الجزائري، حيث تتواجد حيث تتوفر مناطق الرعي والكلأ لمواشيها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تختلف مواطن القبائل البدوية تبعا لفصلي الشتاء والصيف، بين الشمال والجنوب (التل والصحراء)، مما خلق حركة تنقلية جسدت ما يعرف برحلتي الصيف والشتاء أو الرحلة الموسمية بحثا على الكلأ والماء.

بعض هذه القبائل البدوية حتمت عليها طبيعة معيشتها الخضوع والطاعة لرغبة المستعمر الفرنسي الأمر الذي تمخض عنه تخليها عن بعض عاداتها وتقاليدها كقبائل الدوابر والزمالة من حيث الاستقرار بدل الترحال، إذ أنهم كانوا تحت أنظار المستعمر الفرنسي وأعوانه، فإستطاع تتبع تنقلاتهم المختلفة وفي مواطن عديدة.

من بين خصائص البدو الرحل الجزائرية التنقل والبساطة في المسكن والملبس والمأكل والمشرب والزينة والتزين وحتى في المداواة، ضف إلى ذلك مدى تمسك هؤلاء بجانب العثقيدة والدين والكرم وطقوسه .

القبائل الرحل لها عاداتها وتقاليدها كغيرها من القبائل الأخرى، ظلت تحتفظ بها لنفسها ردحا من الزمن، فمنها من اعترضتها التشريعات الاستعمارية فقللت منها أو قضت عليها، ومنها من ظلت تحملها إلى ما بعد الإستقلال، وهذا ما نلمحه في قبائل ناحية الجنوب الغربي، كقبيلة حميان بنواحي سيدي بلعباس، ومشرية، والنعامة، والبيض، وقبيلة العمور ناحية جنوب تيارت، وفرندة، ومنطقة أفلو، وقبيلة الأرباع ناحية الأغواط والجلفة مما ساعدها على التمسك بموروثها الإجتماعي والثقافي إلى حين.

عرف البدو الرحل بعض العادات مثل الزواج، الولادة، والختان، كما تنوعت عاداتهم في كرم الضيف واعداد الطعام وهذا ضمن القيم التي عرف بها البدوي رغم حياته المبنية على التنقل والترحال.

رغم تلك التحولات والتغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر إلا أن فئة البدو الرحل ظلت كأفراد تحافظ وتشكل مظهرا من مظاهر الهوية الشخصية ومكانا للذاكرة الفردية والجماعية.

الدور والمكانة المهمين للموروث الثقافي الشفاهي بالجنوب الغربي، والغرب الجزائري، إذ لا تزال عديد القبائل والأعراش إلى يومنا هذا ذاكرتها حية رغم ما يعترضها من إهمال وضياع، وتلف تناشد الجمع والتدوين من طرف أهل الإختصاص.

قائمة المراجع:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، (2000)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت: دار الفكر، ج6.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2. برونو اتيين، (2001)، عبد القادر الجزائري، تر: المهندس مشيل خوري، الجزائر: الديوان الوطني للنشر والطباعة، ط2.

3. بن صحراوي كمال ، (2015)، أسلوب السياسة الاستعمارية الدموي في احتلال الغرب الجزائري، (ثورة أولاد سيدي منصور بتيارت 1864م أنموذجا)، مجلة علوم الانسان والمجتمع، الجزائر، ع: 15.

4. بوحميدة محمد بن عيسى، (2011)، مفاتيح عرش المذابيح عادات وتقاليد وأنساب، ، (د، ب، ن): العالمية للطباعة والخدمات

5. بوطالب محمد نجيب، (2002)، سيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، لبنان: مركز الدراسات الوحدة العربية.

6. حباش فاطمة، (2005)، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة سيدي الشيخ (1820-1896)،رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة وهران.

7. حمدان بن عثمان خوجة، (1982) ، المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، ط2.

8. الحيسن ابراهيم، (2011)، ثقافة الصحراء، الحياة وطقوس العبور عند مجتمع البيضان، الرباط: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ط1.

9. الخطيب محمد، (2008)، المجتمع البدوي، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ط1.

10. دحمان محمد، (2012)، دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب بين الترحال والاقامة، دراسة سوسيو – أنثروبولوجية حول أولاد بالسباع، الرباط: طوب بريس، ط1.

11. سعيدوني نصر الدين، (2013) الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791- 1830)، الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.

12. السويدي محمد، (1984)، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

13. شقرون غوثي ، (2005)، الأغنية البدوية بين فترتي الثورة والاستقلال "1954- 1962" منطقة وادي الشولي نموذجا جمع ودراسة، رسالة ماجستير ، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان.

14. الفوال صلاح مصطفى (2005)، علم الاجتماع البدوي، القاهرة: دار الغريب، ج1.

15. فون مالستان هاينريش، (1976)، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، تر: أبو العيد دودو، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

16. مجمج فوزي، (2010)، حياة الترحال بين الاستمرار والتحول دراسة أنثروبولوجية حول نمط الإنتاج الرعوي عند البدو الرحل، منطقة عين عبيد– رسالة ماجستير منشورة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، جامعة منتوري، قسنطينة.

17. ميساوي مجدوب، (2018)، مقتطفات من تاريخ قبيلة العمور ببلاد جبال العمور، الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع:12.

18. الهروي الهادي، (2010)، القبيلة، الاقطاع والمخزن – مقارنة سوسيولوجية المجتمع المغربي الحديث 1844-1934-، المغرب: افريقيا الشرق، (د ط).

19. Chanzy, (1900) , les tribus et douars, communes d'algérie.

20. cominardi, François, (1995), au cœur des monts des ksours, le ksar de chellala dahrania, in tradition et modernité, revue d'architecture et d'urbanisme , alger, n° :02.

21. Sari djillali, (1891), L'insurrection de 1881-1882, Alger .